



اعرف نفسك (١)

مُكوّناتُ الإنسانِ الخمسُ

والعلاقة بينها
وأثر ذلك على المسلم





مقدمة

* ما هو مراد الله من خلق الإنسان؟

وهل الإنسان خُلِق ليأكل ويشرب وينام؟

الإنسان خَلِيفَةُ الله في أرضه... أمره أن يسير في هذه الأرض على منهجٍ وشريعةٍ تضمن له الحياة الطيبة والآخرة السعيدة.

وجعل له غايةً أرادها ومقاصد بيّنها، وهي:

١- معرفة الله وعبادته: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦]

٢- تزكية النفس: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: ٩ - ١٠].

٣- عمارة الأرض: {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود: ٦١].

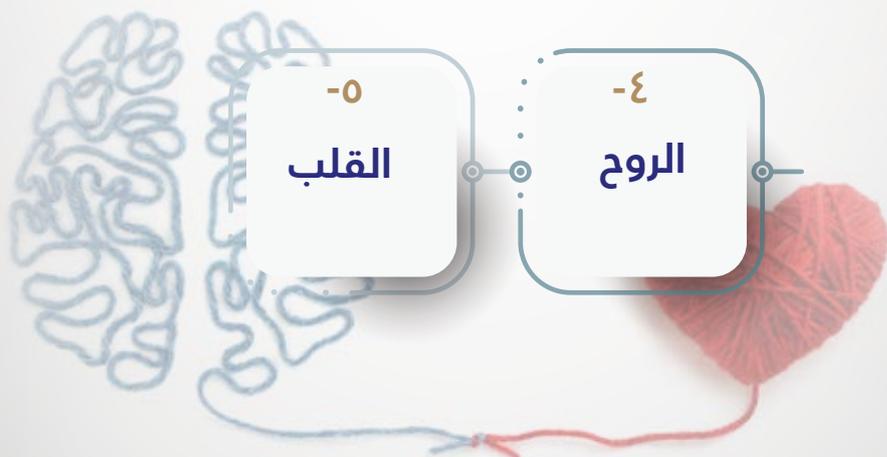




* هل الإنسان مجرد جسد يمشي على الأرض؟

الإنسان ليس جسداً فقط، خَلَقَهُ اللهُ في أحسن تَقْوِيمٍ وله خمس مُكوّنات، لها أثر في حياته في الدُّنيا والآخرة،

وهي:





ماذا تقصد بهذه المكوّنات وما هي وظائفها؟

ملحوظة: كلامنا على مكونات الإنسان من الناحية الشرعيّة، ومقصد علماء التزكية

المُكوّنات ووظائفها

١- الجسد

هو الغلاف أو القفص الذي يحوي باقي المُكوّنات وهو من عجائب خَلْقِ الله عزَّ وجلَّ. خلقه بنظامٍ عجيبٍ مُتناسقٍ {فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون: ١٤].

وظائفه:

القيام بما شرع له من العبادات والطاعات، والقيام بعمارة الأرض: {هُوَ أَنَسَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَغْمِرُكُمْ فِيهَا} [هود: ٦١].

وعلى المسلم: أن يأخذ بأسباب الحفاظ على هذا الجسد من خلال البعد عن معصية الله عزَّ وجلَّ، وممارسة الرياضة، والتوازن في تناول الطعام الحلال، وقد أحلَّ له الطيبات وحرَّم عليه الخبائث.

٢- العقل

المقصود به الإدراك الذي يحصل للإنسان ليزن به الأمور، ويُفكِّر ليميز الخير من الشر.

والقرآن: يوجِّه الإنسان إلى تحكيم عقْله، وإلى التفكير والتفكُّر في هذا الكون ومخلوقات الله في السماء والأرض: {أَفَلَا تَعْقِلُونَ}، {أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ}. لذا يندم أهل النار على عدم تعقُّلهم: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [تبارك: ١].

واعلم أنّ صلاح الدُّنيا والدِّين موقوفٌ على صحَّة التفكير، ومَن أُعطي حظه منه أخذ بحظِّه وافِرٍ مِن كُلِّ خَيْرٍ .

وظائفه:

الفهم، وإدراك حقائق الأمور، واستنباط القواعد العقلية والشرعية .



٣- النَّفْس

النفس: المقصود بها الجزء من الإنسان الذي يكمن فيه رغباته وأهواءه... فيقولون لا بُدَّ مِنْ مُجَاهِدَةِ النَّفْسِ وَتَزْكِيَّتِهَا....
وتزكية النفس: تطهيرها من سيِّء الأخلاق والطباع، وتحليلتها بمكارم الأخلاق.
بمجاهدة شهواتها، ومخالفة هواها، قال سبحانه: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤). فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ} [النازعات: ٤٠ - ٤١].

وظيفتها :

مُحَرِّكُ الجسد، ومركز الشهوة في الإنسان قبل تزكيتها تكون بابًا للشرِّ ومفتاحًا لدخول الشيطان، وقائدًا للجسد إلى الهلاك، فإذا زكَّتْ وَتَطَهَّرَتْ أصبحت سببًا في دفع الإنسان إلى العالم الأعلى وإلى السعادة الكبرى في الدُّنْيَا والأخْرَى.
{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [سورة الشمس: ٩، ١٠].

٤- الرُّوح

هو سر النفخة الإلهية.... النزعة العُلوية... التي ترتقي به.. خزانة النور التي في داخل الإنسان.
وهو من أسرار الحقِّ عزَّ وجلَّ: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: ٨٥].
وظيفته:

مِعْرَاجُ الحُبِّ إذ أن الرُّوحَ شأنه عُلويٌّ، فهو مُشْتاقٌ دومًا إلى الصَّلَاةِ بجناب الحقِّ.



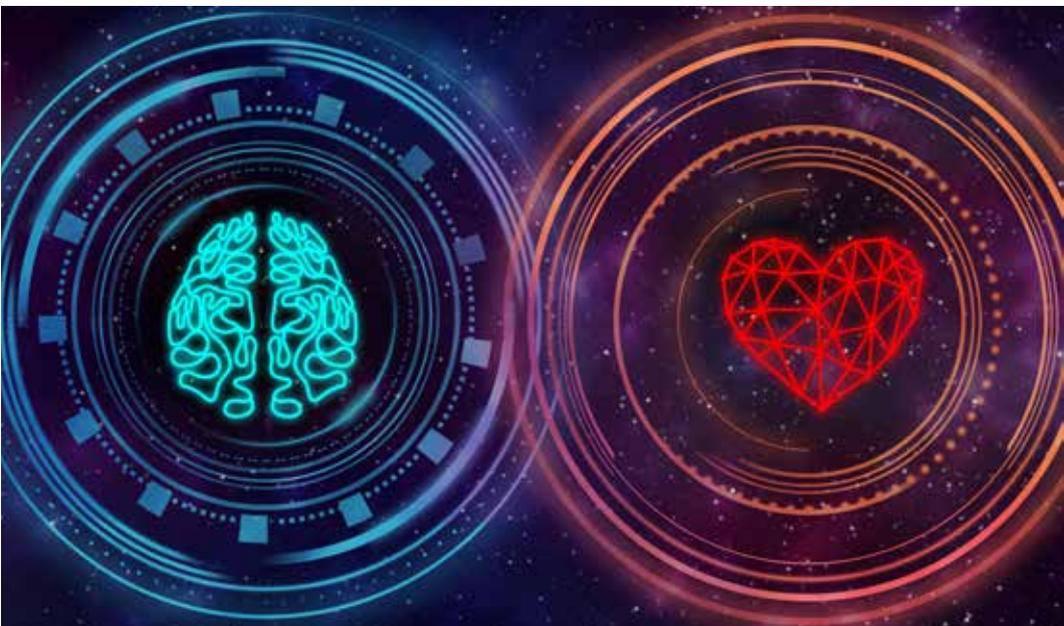
٥- القلب

هو اللطيفة الربانية، موضع الإيمان والهداية والعواطف، وهو ملك الأعضاء في الإنسان.

وظيفته:

يصدر عنه قرار الإنسان، الذي يَرَّجَح ميل الإنسان إلى الرُّوح في العالم الأعلى، أو للنفس الأمارة بالسوء في العالم الأسفل، ولهذا سُمِّي القلب لأنه يتقلَّب.

والقلب آلة التدبُّر { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } [محمد: ٢٤]
 { لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا } [الحج: ٤٦]-والمقصود به الفهم المعمق كما أشار في أخر الآية { فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } [الحج: ٤٦].





كيف أحافظ على هذه المكونات الخمس وأقويها؟

كُلُّ هذه المكوّنات تقوى بطاعة الله وعبادته، وتضعف بمعصيته ومخالفة أمره، وتتقوى أيضًا بالآتي :

الطعام والشراب والنوم والرياضة.

الجسد

العلم والمُذاكرة والقراءة .

العقل

تتزكّى بمجاهدة شهواتها، والنفس إذا خالفت هواها تضاعفت قواها.

النفس

حضور مجالس العلم والذِّكر،
ومجالسة الصالحين .

الروح

ذكر الله وقراءة القرآن وعمل الطاعات.

القلب



أهمية العلاقة بين هذه المكونات وأثرها على المسلم؟

التوازن بين احتياجات الجسد وإبداعات العقل وميولات النفس وعواطف القلب وسمو الروح يرتقي بالإنسان ويحقق له السعادة في الدنيا والآخرة، وأي اختلال في هذه العلاقة سيقود الإنسان إلى الشقاء .

علاقة الجسد وباقي المكونات:

- الجسد هو الوعاء، وله منفذ إلى باقي المكونات من خلال الحواس الخمسة:

فكلما قلت مسموعات الآذان ومرئيات الأبصار -مما هو مخالف للشرع- كلما قلت وساوس الصدور وهواجس الأفكار، وزالت عن القلوب الأكدار.

- ومن أكثر أعضاء الجسد تأثيراً على الإنسان ومكوناته : اللسان، ففي الحديث أن أعضاء الجسد تخاطبه كل صباح وتقول: «أتق الله فينا فأبما نحن بك، فإن استقممت استقمنا وإن أعوججت أعوججتنا»^(١) .

تأثر القلب بمعاصي الجسد وشهوات النفس:

والقلب يتأثر بمعاصي الجسد المتأثر بشهوات النفس الأمارة، كما في الحديث: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ حَاطِبِيَّةً نُكِبَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْبَةٌ سَوْدَاءٌ ، فَإِذَا هُوَ تَرَعَّ وَاسْتَعْفَرَ وَتَابَ صَقِلَ قَلْبُهُ ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبُهُ ، وَهُوَ الرَّائِي الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (المطففين: ١٤)

والران هو: الذنب على الذنب حتى يعمي القلب.

لكن القلب إذا صفا وتنقى عن الأدران وتخلص من شهوات النفس الأمارة بالسوء، وباطن الإثم من الكبر والحسد والبغضاء والتعالي واحتقار الآخرين والتعلق بالفانيات وظلمة المعاصي والذنوب استنار هذا القلب وتهياً لمعرفة الله.

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٠٧)، وغيره، من حديث: أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٣٤) وقال: حسن صحيح



تأثير النفس على الجسد:

النفس تؤثر على ميولات الجسد ورغباته، وتخلط احتياجاته بأهوائها، مثلًا: الإنسان يحتاج إلى الطعام والشراب ليعيش ويستمر، لكن هوى النفس يخلط حاجة الجسد إلى الطعام لحفظ قُوام المعيشة، بأهواء التشهّي والتوسّع في الأطعمة إلى حد التبذير بما قد يعود على الجسد بالضرر. والنفس إن بقيت على أمريتها بالسوء فهي داعي الخراب ومنفذ الشيطان إلى الإنسان، وإن تزكّت وارتقت في مراتبها السبع تحوّلت إلى دافع الإنسان للسير إلى الله عزّ وجلّ بدخولها إلى مرتبة الطمأنينة.

العقل والقلب

- العقل آلة التفكير، والقلب آلة التدبّر { أَقْلًا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَالًا } [محمد: ٢٤].

و التدبّر ينتج فقهاً ليس المقصود به علم الحلال والحرام، لكن المقصود به الفهم المعمق {لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا} [الأعراف: ١٧٩]. فقهٌ يُوَدِّي إلى المعرفة بالله، فإله تعالى يُستدل عليه بالعقل، لكن ذاته لا تُعرف بالعقل، العقل يدل على وجود الخالق لكن كينونة هذا الوجود وقدس الذات الإلهية لا يدركها العقل ولا يصل إلى مداها، غير أنّ القلب هو مفتاح المعرفة بالله.

القلب بين الروح والنفس :

والقلب تارة ينقلب إلى نحو الروح فيرتقي برقيتها ويستقيم أمر الإنسان. وتارة ينقلب إلى جهة النفس فيستجيب لأهوائها وشهواتها فيسقط الإنسان فيها .



القلب ملك الأعضاء وصاحب القرار

-القلب هو محلُّ نظر الربِّ سبحانه وتعالى، كما في الحديث: «إِنَّ اللّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَىٰ صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ» (٣) .
 - والقلب بصلاحه يصلح الإنسان كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أَلَّا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَّا وَهِيَ الْقَلْبُ» (٤).

- القلب صاحب القرار، والغلبة له؛ فالإنسان يسير خلف عواطفه القلبية أكثر من قناعاته العقلية... فإذا أحبَّ وتعلَّقَ فعل الأعاجيب... فبالحبِّ تبلغ ما تريد... وبالحبِّ يلين لك الحديد....



(٣) أخرجه مسلمٌ (٢٥٦٤)، وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً
 (٤) متفقٌ عليه؛ أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلمٌ (١٥٩٩)، وغيرهما من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعاً.



الذخامة

- الإنسان خليفة الله في أرضه، وله مُهمّةٌ في هذه الحياة هي: معرفة الله وعبادته، وتزكية النفس، وعمارة الأَرْض.

- الإنسان ليس جسدًا فقط، بل له مُكوّنات أُخرى، لكلٍّ منها وظيفة لها أثرٌ على سير الإنسان في الدنيا والآخرة.

- هناك علاقةٌ قويّةٌ بين هذه المُكوّنات، وحدث أي خللٍ في هذه العلاقة يجعل الإنسان في شقاءٍ، وربما أدّى هذا الخلل إلى أن يهوي بالإنسان إلى أسفل سافلين: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ} [التين: ٤-٥].

- القلب هو ملك الأعضاء، ومحلُّ نظر الربِّ سبحانه، وصاحب القرار، فيجب الحفاظ عليه وتعهّده بما يُصلحه.

- التوازن بين مُكوّنات الإنسان فطرة الله التي فطر الناس عليها، وعلى المسلم أن يُعطي كلَّ ذي حقٍّ حَقَّهُ، فيسعد بذلك في الدنيا والآخرة.

www.tazkiyah.net



مؤسسة طيبة
Tabah Foundation
www.tabahfoundation.org

مبادرة تركية وصارفة إندونيزية معتمدة مؤسسة طبية للأبحاث والاستشارات - مصر